(١)

كيف نستعيد قيمنا وأخلاقنا الجميلة؟

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، القائل في حديثه الشريف: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ).

وبعد:

فقد جاء الإسلام برسالة عظيمة، جمعت بين القيم الفاضلة والمُثُل العالية، فلم تترك فضيلة من الفضائل ولا قيمة من القيم تسمو بها النفوس إلا دعت إليها، وحثَّت على التمسك بها، وما تركت خلقًا ذميمًا إلا نهت عنه، ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في القيم النبيلة والأخلاق العظيمة، حيث وصفه ربنا سبحانه وتعالى بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، فكان (صلى الله عليه وسلم) أحسن الناس خلقًا، وأكثرهم محبة ورأفة، وحلمًا وعفوًا، وأصدقهم حديثًا، وأوفاهم عهدًا وذمة.

ولقد غرس النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه القيم العظيمة في نفوس أصحابه، فقد سُئِلَ (صلى الله عليه وسلم) عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (تَقْوى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُق) ، ووجه نبينا (صلى الله عليه وسلم) أمته إلى العديد من القيم والأخلاق النبيلة ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (من نفَّسَ عن مؤمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ عليهِ في الدنيا والآخرة، ومن سترَ مُسلِمًا سترهُ اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عوْنِ العبدِ

ما كانَ العبدُ في عوْنِ أخيهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً ، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ أَحَبُّ إليَّ من أن اعتكِفَ في هذا المسجدِ- يعني: مسجدَ المدينةِ- شهرًا، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضِيَه أمضاه ملأ اللهُ قلبَه يومَ القيامةِ رِضًا، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له ثبَّتَ اللهُ قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ).

فما أحوجنا إلى أن نجعل هذه القيم والأخلاق منهج حياة، وسلوكًا عمليًّا نتعايش به في مجتمعنا، ومع الناس جميعًا، فمن أراد الدين الحق والإنسانية الحقة، فليظهر أخلاقه للناس، فيحترم الكبير، ويعطف على الصغير، ويُجِلّ العالم، ويبتعد عن الكذب، والخيانة، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل، ويلتزم الصدق، والأمانة، ويتعامل بالحسنى مع الناس، وذلك مقصد الدين وهدفه، يقول تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}.

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

إن من سبل استعادة قيمنا وأخلاقنا الجميلة: غرس هذه القيم في نفوس الشباب، فهم عماد الأمة، وقلبها النابض، وأملها في مستقبل مشرق، ولقد حكى القرآن الكريم ما كان من لقمان الحكيم مع ابنه، حيث غرس فيه الجوانب الأخلاقية، وحثّه على

الإصلاح والعطاء، قال تعالى : {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} .

وعلى كل منا أن يبدأ بنفسه ، وأن يكون قدوة في أخلاقه وسلوكه حيث حل وحيث ارتحل ، وحيث كان ، وحيث أقام.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، وقنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.